مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

الرثاء في الشعر العباسي

(دراسة أدبية نقدية)

أ. أحمد حسن علي محمد [1]
د. سيد أبو ادريس أبو عاقله [2]
[1] طالب دكتوراه بجامعة الجزيرة
[2]جامعة الجزيرة ـ كلية التربية حنتوب

المستخلص

عرف الآدب العربي فن الرثاء غرضاً أدبياً في شعره ونثره , وهو لون من ألوان التعبير يعكس طبيعة التقلبات السياسية التي تجتاح عصور الحكم في مراحل مختلفة . تناولت الدراسة الرثاء في الشعر العربي العباسي وهذا الندب الحار والرثاء الحزين يؤكد عظم الفقد وفداحة الأمر, هدفت الدراسة إلى الوقوف على شعر الرثاء ومعرفة ما أبدعه الشعراء من شعر حزين باكٍ يُمزق القلوب, اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي , توصلت الدراسة إلى أن الرثاء يصدر عن تجربة قاسية عميقة تتجاوز الآلام الشخصية الخاصة إلى مكابدة الخطوب العامة . فقد ظهرت في مراثي الشعراء المسلمين نزعة جديدة تقوم على القيم الدينية التي تتمثل في التسليم بقضاء الله . شعر رثاء المدن صادر من عاطفة مشبوبه ووجدان حار ملؤه الألم وشعور صادق من قبل الشعراء انفسهم تجاه بلدانهم وديارهم, فهي مسقط الرؤوس وملتقى الأحباب (قال عمرو بن عبد الملك : (من ذا أصابك يا بغداد بالعـين **** ألم تكوني زمانا قرة العـين ؟) . استعان الشعراء الذين تفننوا في شعر الرثاء بالحوادث التاريخية , فهي كثيرة مما يدل على اطلاعهم وإلمامهم بها . توصي الدراسة ببحث الرثاء في النثر العباسي حتى تتكامل صورة هذا الأدب العباسي بعامة فهو ادب غزير المادة متنوعها متعدد الموضوعات والأشكال الفنية لم تستوفه الدراسات بعد.

Abstract

Arab literature defined the art of lamentation as a literary purpose in its poetry and prose. It is a form of expression that reflects the nature of the political fluctuations that swept through the eras of rule at different stages. The study dealt with lamentation in Abbasid Arabic poetry, and this warm lamentation and sad lamentation confirms the greatness of the loss and the enormity of the matter. The

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

study aimed to examine the poetry of lamentation and know what poets created of sad, crying poetry that tears hearts apart. The study followed the descriptive analytical approach. The study concluded that lamentation emerges from an experience. A profound cruelty that goes beyond private personal pain to the suffering of public tribulations. A new trend has emerged in the elegies of Muslim poets based on religious values, which are represented by acknowledgment of God's will. The poetry of lamenting cities comes from passionate emotion, a hot conscience filled with pain, and a sincere feeling on the part of the poets themselves towards their countries and homes, as they are the birthplaces and meeting places of loved ones (Amr bin Abdul Malik said: (Who struck you, O Baghdad, with the evil eye? **** Were you not the apple of the eye in the past? The poets who excelled in the poetry of lamentation used historical incidents, as there are many of them, which indicates their awareness and familiarity with them. The study recommends examining lamentation in Abbasid prose in order to complete the picture of this Abbasid literature in general, as it is a literature with a wealth of material and a variety of topics and artistic forms that have not yet been comprehensively studied.

مقدمة:

بالرجوع للمعاجم العربية اتضح للباحث أن الرثاء في اللغة متعلق بالميت والبكاء , وهما في الأصل مصدر للفعل رثى فيقال : (رثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاة ومرثية .) [1]

ويدل رثى في أصله اللغوي على التوجع والإشفاق , وأخذ مدلول الرثاء يرتبط بالقصيدة الشعرية ويقول ابن فارس : (بأن الراء والثاء والحرف المعتل أصيل على رقة وإشفاق فيقال رثيت لفلان أي رققت. [2]

ورثيت الميت مرثية ورثوته ايضا إذا بكيته وعددت محاسنه, وكذلك إذا نظمت فيه شعرا ورثى له أي رق له وامرأة رثاءه ورثاية كثيرة الرثاء لبعلها أو لغيره ممن يكرم عندها تنوح نياحة والمرثاة والمرثية ما يرثى بها الميت من شعر وغيره والجمع مراث , ورثوت الديار أو المدينة يعني أنني بكيتها بكاء وعددت محاسنها

[1] القاموس المحيط , ابو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بيت الأفكار الدولية , ط 2004 لبنا ص 646 , مادة رثى , انظر لسان العرب لابن منظور كتاب الراء فصل رثى ص 149
[2] معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ج 2 , كتاب الراء , ص 255

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

ورق قلبي لحالها ولما آلت إليه , الرثاء موضوع أدبي يقوم في بنيته الأساس على الحزن على الميت وتعداد مناقبه واظهار التفجع والتلهف عليه واستعظام المصيبة فيه .[3]

والرثاء في الحقيقة مديح الميت ولذلك نجد الجاهليون يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرن بها ويمدحون . ولا ريب في ان رثاء الأقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة ويتصل بالرثاء والنواح وهو الشعر الذي كانت تنوح به النساء على الميت ويبدوا أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطا بعيدا من التقدم حتى أصبح فنا وصناعة وحرفة فقيل في أمثالهم (ليست النائحة الثكلى كالمستأجرة) .

يقول السيوفي : (إن الرثاء هو بكاء الميت والتفجع عليه واظهار اللوعة لفراقه والحزن لموته وعد خلاله الكريمة التي يروع الأعداء فقدها والإشارة بمناقبه وشمائله وكانوا في الرثاء على شرطهم في غيره لا يبالغون ولا يهولون فيتصورون الأرض تميد والسماء ترمي بالشهب وإنما كانوا يبكون في الميت الشجاعة والنجدة والكرم والوفاء ونحو ذلك مما كانوا يمتدحون به .)

ظهر الرثاء في الشعر العباسي كأبرز أنواع الأغراض الشعرية التي استخدمها الشعراء في كتابة قصائدهم حيث كان له منزلة سامية في النفس , وأبدع الشعراء في غرض الرثاء وقالوا فيه أصدق الشعر في معانيه وأكثره تأثيرا ولعل ابن الرومي وأبو تمام وبشار بن برد وغيرهما كانوا من أبرز رواد هذا الغرض الشعري .

تميز الرثاء في الشعر العباسي بعدة سمات منها الصدق في المشاعر فقد كان يعبر الشاعر عن ذلك بوجدان ملؤه الحزن والألم على فقدان من يحب , والنزعة الوجدانية القوية , والبساطة في التوضيح , ومتانة التراكيب الشعرية .

أهداف الدراسة :

هدفت الدراسة للوقوف على شعر الرثاء ومعرفة ما أبدعه الشعراء من شعر حزين باكٍ يُمزق القلوب . معرفه أهم موضات الرثاء في الشعر العباسي . كما هدفت الدراسة إلى معرفة اسهامات الشعراء في جانب الرثاء ودورهم في رثاء مدينة بغداد .

[3] أحمد ابراهيم مصطفى جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب ج 1 , دار الكتب بيروت 1971م ط 2007م ص 252

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

أهمية الدراسة : تنبع أهمية الدراسة لما قدمه الشعراء في جانب الرثاء إذا كان الفقد لشخص أو مدينه مما يؤكد تأثر الشاعر بمن فقده في حياته فيصوره لنا في أبيات شعريه.

هيكل الدراسة :

المبحث الأول : فن الرثاء

المبحث الثاني : موضوعات الرثاء في الشعر العباسي

المبحث الثالث : رثاء مدينة بغداد

المبحث الأول

فن الرثاء

عرف العرب فن الرثاء منذ العصر الجاهلي إذ كانوا جميعا رجالا ونساء يندبون موتاهم كما كانوا يقفون على قبورهم ويكيلون لهم الوانا من المديح مركزين على الثناء عليهم من خلال مناقبهم ومحامدهم وفي كثير من الأحيان يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وعجز الإنسان وضعفه أمام الموت , وهم يدركون أن ذلك مصير محتوم والصور التي نراها في غرض الرثاء من خلال الشعر العربي صور راقية , إذ تعبر عن شعور عميق بالحزن والألم والأسى تجاه الشخص المرثي أو الشيء المفقود .

ولا شك أن الرثاء بدأ عند العرب كما بدأ عند كثير من الأمم بأشكال تشبه وأن تكون أنواعا من السحر حتى يطمئن الميت في مرقده , ولا تصيب روحه الأحياء من ورائه بمكروه ثم أخذ يفقد هذه الغاية على مر الزمن , حتى انتهى إلى الصورة الجاهلية التي تتمثل في الإفصاح عن إحساس الناس العميق بالحزن تجاه الموتى , مع التذكير في اللحظة المناسبة بتمجيدهم وبيان فضائلهم ثم التفكير في القدر الذي لا رد له . وقد يكون من أقدم صور الرثاء عندهم ما نقش عند قبور الأقيال [4] والأذواء في اليمن والحيرة وفي بلاد الشام وكانوا يكتبون على قبورهم أسمائهم وألقابهم تخليدا لذكراهم وكأن هذه هي الصورة الأولى للتأبين وهي صورة ساذجة .أما الصورة الجاهلية فصورة معقدة لأنهم يعتنون بقوالب رثائهم البيانية مع العناية التامة بالأوزان والملائمة بين الأنغام وبين الحزن الذي يعتري أفئدتهم ولا يستطيعون له دفعا.

[4] الأقيال ' مفردها قيل , وتعني ملك من ملوك حمير , والأذواء موك اليمن

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

كان يساهم في هذا الفن الرجال والنساء بل ربما كان للنساء الحظ الأوفر من القيام عليه وطبيعي أن يتفوق النساء على الرجال في ندب الموتى والنياح عليهم لأن المرأة أدق حسا وأرق شعورا هذا من جهة , ومن جهة أخرى فإن حياة الرجال في الجاهلية كانت تقوم على سفك الدماء والتفاخر بالشجاعة والبطولة بل عمدوا في كثير من المواقف إلى إظهار الصبر والتجلد في زمن المأساة أما ندب الموتى والنواح عليهم فهو الصورة الأولى في الرثاء الجاهلي ونجد إلى جانب ذلك صورة أخرى من صور تأبين الميت وعد فضائله والثناء على خصاله وتكثر هذه الصورة في تأبين الأصدقاء والأشراف , بل تجدها في رثاء الإخوة وقد أراد الشعراء الراثون بذلك ابراز عظم المصيبة واظهار مقدار الخطب وحجم الخسارة نتيجة فقدان الشخص المرثي.

لا توجد أمة من الأمم إلا وهي تبكي موتاها بكاء يصور حزن الإنسان وأساه على أخيه الإنسان , وما يقال عن بكاء الإنسان للإنسان ينطبق على بكاء الإنسان للمكان فالمكان جزء لا يتجزأ من البشر وللمكان ذلك الخيط الرفيع الذي يربطه بصاحبه فإذا حل مكروه بربع من تلك الربوع تألم الشاعر وعصف به الأسى فاندفع يرثي هذه الربوع وتلك الأوطان التي كانت تدر عليه ألبانها وتطعمه بطيب ثمارها وتغمره بهناء العيش فيها وحين تسقط يندبها الشعراء وينوحون عليها بطريقتهم الخاصة , مصورين محنتها الكبرى وكارثتها العظمى , وكما هو معروف لدى بني الإنسان فإن على فراق المألوف حرقة لا تدفع ولوعة لا ترد وما يتفاضل الناس إلا بصحة الفكر وحسن العزاء وجميل الذكر .

الرثاء كما هو شائع يعبر فيه الشاعر عن تجربه الحزن والأسى والتفجع واللوعة لفقدان ما هو عزيز ومحبب إلى النفس , والرثاء ألوان شتى منها الندب وهو بكاء الأهل والأقارب والأصحاب حين يعصف بهم الموت وبعبارة أخرى (هو النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجية والألفاظ المحزنة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة .)[5]

[5] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة ط3 ص 12

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

وثمة نوع منه يطلق عليه اسم التأبين وهو فن التعبير عن حزن الجماعة لفقدان الميت وأصل التأبين هو (الثناء على الشخص حيا أو ميتا ثم اقتصر استخدامه على الموتى فقط اذ كان من عادة العرب في الجاهلية ان يقفوا على قبر الميت فيذكروا مناقبه , ويعددوا فضائله ويشهروا محامده)[6]

شاع ذلك عندهم وأصبحوا يقفون على قبور موتاهم وعلى أطلال الذين ارتحلوا وكأنهم يريدون أن يحتفظوا بذكراهم على مر السنين وإذ تجاوز الراثي في رثائه حد اللوعة والبكاء ليصل إلى التأمل في حقيقة الموت والحياة فإن رثائه هو العزاء ومعلوم أن أصل العزاء الصبر ثم اقتصر استعماله في الصبر على كارثة الموت , وأن يرضى من فقد عزيز وبما فاجأه القدر وقد حفل الشعر العربي على امتداد عصوره بألوان الرثاء على اختلافها فظهرت بواكيره الأولى مع ظهور الشعر منذ فجر الجاهلية فغلب عليه الندب والنواح وتضمن تعداد فضائل المرثي والثناء عليه والإشادة بصفاته , مثلما تضمن في الوقت عينه أروع لوحات شعر العزاء والحث على الصبر أمام نوائب الدهر , ولقد استمر الأخذ بهذا التقليد والتوكؤ على معانيه وأساليبه وبقيت الصورة الرثائية على ما كانت عليه في الجاهلية طيلة العصور الأدبية مع اختلاف يسير في مظاهر الشكل والتعبير والتفكير .

الرثاء القائم على أساس اللوعة والحزن والندب وهو من أعز شعر الرثاء وأصدقه حسا وشعورا ولذلك كانت المراثي أشعر الأشعار لأن أصحابها يقولونها وقلوبهم تحترق.

المبحث الثاني : موضوعات الرثاء في الشعر العباسي

يعد العصر العباسي أنضج العصور الأدبية فكرا وأرقاها علما وأبدعها صورة , والصورة الرثائية في هذا العصر كانت أوسع مدى وأبز أفاق وأوضح ألوانا [7]

رثاء الأبناء

الابن قطعة من كلد ابيه يحبه ويفديه بالغالي والنفيس ويؤمل عليه المستقبل وقد جاء في العقد الفريد أن موت الولد صدع في الكبد لا ينجبر [8] فكيف للشاعر وهو يرى الشاعر فلذه كبده يجود بنفسه ويفارق الحياة ويتركه وحيدا فهل يصبر نفسه أم يعزيها .

[6] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة ط3 ص 54
[7] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة, ص 386
[8] ابن عبد ربه الأندلسي العقد الفريد , , دار احياء التراث لبنان ط3 ج 2 ص 275

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

ففي ذلك يقول الشاعر ابو العتاهية وهو معروف بالزهد والحكمة عندما أصيب ابنه وقف على قبره وقال :

كفى حزنا بدفنك ثم إنـــي نفضت تراب قبرك من يديا

وكانت في حياتك لي عظات فأنت اليوم أوعظ منك حيا[9]

نجد الشاعر متأثرا على فراق ابنه غهو يوضح لنا بأنه هو من حفر قبره بيده .

اشتهر ابن الرومي بقصائد الرثاء وخصوصا عندما قال في ابنه يرثيه :

بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي فجودا فقدا أودى نظيركما عنـــدي

بني الذي اهدته كفاي للـــثرى فيا عزة المهدي و يا حسرة المهدي

ونجد ايضا نموذجا من شعر بشار عندما مات ابنه محمد قائلا:

اجارتنا لا تجزعي وأنيبي أتاني عن الموت المطل نصيبي

بني على قلبي وعيني كأنه ثوى رهن احجار وجار قليب

كأني قريب بعد موت محمد وما الموت فينا بعده بغريب

رثاء الآباء

الأب هو المعيل لأسرته والراعي لها وهو الناصح الأمين , والركن المتين الذي بفقده تفقد الأسرة رأسها وحاميها , تأثر الشعراء العباسيون كغيرهم بفقدهم لآبائهم ورثوهم بقصائد عبروا فيها عن آلامهم وأحزانهم وعظيم مصابهم ومنهم من تأثر في رثاه بالقران صابرا على أحداث الدهر وتسليمه لقضاء الله وقدره في قوله تعالى: (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ)[10]

يقول ابو العلاء المعري في رثاء ابيه

نقمت الرضا حتى على ضاحك الزمن [11] فلا جدني إلا عبوس من الدجن[12]

وليت فمي إن شام سني تبـــسمي في الطعنة النجلاء يدمي بـــلا سن[13]

مضى طهر الجثمان والنفس والكرب وسهد المنى والحبيب والدليل والردن[14]

[9] ديوان ابو العتاهية دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1986م ص 5-6
[10] سورة الرحمن الآية 26
[11] نقمت كرهت (الصحاح مادة نقم ـ ص 1166)
[12] عبوس ـ شديد الصحاح مادة عبس ص 727
[13] النجلاء , هو سعة شق العين وطبعته أي واسعة الصحاح ص 119
[14] سهد الشهادة هو الأرق (الصحاح ص 567)

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

يوافيك عن رب العلا الصدق والرضا بشيرا وتلقاك الأمـــــانة بالأمن

فهل أنت إن ناديت رمسك ســـامع[15] بداء ابنك المفجوع بل عبدك القــن

سأبكي إذا غنى ابن ودماء بهـــجة وإن كان ما يعنيه ضد الذي أعــني

وأحمل فيك الحزن حقا فإن أمـــت وألقك لم أسلك طريقا إلى الحـــزن

استهل ابو العلاء مرثيته بالتشاؤم , ويتعرض إلى صفات ابيه الخليقة فقد كان ابوه طاهرا تقي العرض والثوب , ويطلب له من رب العزة الرحمة فهو يتألم كما تألم الذين رثوا الأعزة والأحبة , ويأخذ عهدا بالبكاء حزنا ما مدام حيا يرزق ولن ينساه فؤاد ولن يرتاح له ضمير بعد فقده فهذه الأبيات الأخيرة يلونها الحزن والتشاؤم .[16]

رثاء الإخوة

يعد شعر رثاء الإخوة ابداعا اجتماعيا وإنسانيا لما يحتويه هذا الرثاء من دق العاطفة يعبر عن الحالة النفسية عند الراثي للتعبير عن انفعالاته ومشاعره , ولا يقل رثاء الاخوة عن رثاء الآباء والأبناء فالأخ عزيز على الأنفس , فقد تجلى الرثاء في عدة صور حزينة فهو تارة للعشيرة وتارة مثل أعلى للكرم وتارة بطل في الميدان . إن العصر العباسي عصر الرقي الفكري والتعمق في الأحاسيس والمشاعر فنجد ابا تمام يرثي أخا له رثاء باكيا وكأن كل بيت فيه يقطر دمعا بل دما , فالحزن يجري في قلبه وفؤاده بل في أعطاف ابياته نفسها فهي تنبض به وتخنق فهو يشعر بالحزن الشديد لفراق اخيه فيقول:

إني أظن البلى لـــو كان يفـهمه صد الليالي عن بقايا وجهه الحسن

يا موته لم تدع ظـــرفا ولا أدبا إلا حكمت به للحد والكـــــفن

لله ألحاظه لو المـــوت يكسرها[17] كأنه اجفانه سكرى من الـــوسن [18]

يرد أنفاسه كرها وتعـــــطفها يد المنية عطف الريح للغـصن [19]

يا هول ما ابصرت عيني وما سمعت أذني فلا بقيت عيـــني ولا اذني

---

[15] الرمس , التراب القفير
[16] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة ص 190
[17] ألحاظ , النظر بمؤخرة العين
[18] الوسن , النعاس
[19] ديوان ابو تمام , شرح الخطيب التبريزي ,دار الكتاب العربي, بيروت ط2 1994م , ج1 \, ص 5

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

لم يبق من بدني جزء علـــمت به إلا وقد حله جزء مـــن الحزن

كان اللحاق به أولى وأحـــسن لي من أن اعيش سقيم الروح والبدن .

ابو تمام في هذه الأبيات يصور تصويرا دقيقا صراع أخيه مع الموت ساعة الاحتضار وقد عرف كيف ينقل الينا اللحظة بكل ما وخزه فيها من ابر الألم والجزع , حتى ليتحول إلى هيكل للأوصاب والأشجان فكل جزء فيه يملؤه وصب وشجن ووجع , لما رأى وسمع , لقد رأى أخاه والموت يكسر أجفانه ويخنق أنفاسه . وإنه يود ان يلحق أخيه حتى لا تعاوده أشجان هذه الذكرى التي تضغط على قلبه وتعتصر فؤاده .

إن ابا تمام ابدع في الرثاء ابداعا وصل فيه حد السحر والبيان الرائع فقد كام يزج العاطفة بالخيال بالعقل , إن المصيبة حقا كبيرة بفقد الأخ لأنه عديل الروح وصنو النفس فهو الطفل الذي نشأ في ملاعب الطفولة والصبا مع اخوته فعاش حياتهم بآمالها وآلامها .[20]

رثاء الأمهات

للأم منزله سامية وكريمة في كتاب الله تعالى وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ومن الآيات الكريمة الدالة على هذه المنزلة قوله تعالى (وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) [21] وفي تراثنا الشعري نرى مكانة الأم لا تدانيها مكانة ولا ترقى إليها مرتبة , فهي حاضرة عند المرض وفي أشد لحظات الألم ومن أجمل المراثي في الأمهات ما صاغه ابو العلاء المعري في رثاء والدته

فيقول ابو العلاء :

وأمتني إلى الأجـــداث ام يعز عليّ أن سارت امامي

وأكبر أن يرثيها لســـاني بلفظ سالك طرق الطعام

مرضت وقد اكتهلت وخلت أني رضيع ما بلغت مدى الفطام

فيا ركب البنون اما رســول يبلغ روحها أرج الســلام

اشاعت قبلها وبكت أخـــاها فاضحت وهي خنساء الحمام[22]

[20] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة ص 17
[21] سورة لقمان الآية 14
[22] المعري , أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري , , الرثاء في لشعر العربي , ص 191

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

غلب على الشاعر الشعور بالحسرة والمرارة والألم النفسي فالبداية حزينة وكان يتمنى أن يسبقها إلى الموت وأمه اكبر من أن يوفيها شعر لأنها اكبر من الشعر , فقد أبى على نفسه الزواج خشية ومحافظة على الأبناء من بؤس الحياة وقسوة الدهر لكنه يجزه جزعا شديدا عندما تتوفى والدته .

رثاء النفس

الإنسان عندما يشعر بدنو أجله تختلج في نفسه مشاعر عنيفة تهذه من الأعماق فلحظة الفراق حانت وعكست هذه اللحظة المأساوية غريزة حب الذات والطمع في البقاء وطبيعي أن يندب الشعراء أنفسهم وهم يفارقون دنياهم من ورائهم إلى حفرة مظلمة , إنها ساعات ويخرج المشيعون من حولهم وورائهم يحملون نعوشهم إلى قبورهم ويدفنونهم ويعودون لينم كل منهم دورته في الحياة [23]

فمن أصعب المواقف للموت هو الماثل أمام العين , وفي هذا العصر بالتحديد نجد الشعراء يكثرون من نوح أنفسهم وخاصة أنهم يذكرون ذنوبهم فيخافون ربهم ويشفقون من لقائه فينطلقون معلنين التوبة والاستغفار مما قدمت أيديهم ومن هؤلاء الشعراء ابو نواس الذي يقول في رثاء نفسه

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمت بأن عفوك أرحم

إن كان لا يرجوك إلا محسنا فبمن يلوذ ويستجير المجرم

مالي إليك وسيلة إلا الـرجا وجميل عفوك ثم إني مسلم [24]

لقد أظلمت الدنيا في عيني ابي نواس حين نزل به ريب المنون ففزع غلى ربه يعلق به أمله ويرجو منه أن يسدل ثوب الغفران على ذنوبه وسيئاته التي اقترفها , ويشمله بعضه واحسانه .

ويقول ابو فراس الحمداني في رثاء نفسه وذلك على فراش الموت :

أبنيتي لا تجزعي كل الأنام إلى ذهاب

نوحي إليّ بحـسرة من خلف سترك والحجاب

قولي اذا ناديـــتني وعييت من رد الجـواب

زين الشباب ابو فراس لم يمتّع بالشـــباب[25]

[23] ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة , 1956 ص 30
[24] الجامع في تاريخ الأدب العربي , ص 691

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

إن ابا فراس يطلب من ابنتيه عدم الجزع , حين أن الموت كاس يشربه الناس جميعا ثم يطلب منهما ان تتذكرا أن أباهما لم يتمتع بمباهج الحياة وزينتها

رثاء الأشراف والأبطال

لم يترك الشعراء شريفا على مر العصور دون أن يقفوا بقبره وينثروا مدامعهم عليه وقد رثى الشاعر حسان بن ثابت الرسول صلى الله عليه وسلم في العصر الإسلامي رثاء اسلاميا ترتاح النفس لسماعه ويقول حسان

بطيبة رسم للرسول ومعـــهد منير وقد تعفوا الرسوم وتـهمد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمه بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معـــالم وربع له فيه مصلى ومـــسجد
بها حجرات كان ينزل وسـطها من الله نورا يستضاء ويـــوقد
عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبرا به واراه في التـرب ملـحد
ظللت بها ابكي الرسول فأسعدت عيون ومثلاها الجـــفن تسعد [26]

هذه القصيدة في رثاء سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وبدأها حسان وهي كلها ألم وحسرة لفقدان هادي البشرية ثم يعطف إلى ذكر ما كان في هذا المكان الكريم من نزول آيات الذكر الحكيم و آيات كانت نورا ورحمة وضياء , ثم يشارك في بكاء رسولنا الحبيب وقد سعدت عيونه في البكاء على أغلى الرجال وسيد المسمى وقد لجأ الشاعر إلى التعابير والمعاني الإسلامية .

أما في العصر العباسي فمن نماذج الرثاء ما يقوله الشاعر مروان بن ابي حفصه في رثاء الوالي كريم المعن بن زائده فيقل :

زار ابن زائدة المقابر بعدما ألقت إليه عرى الأمور نزار [27]
ودّ عن ربيعه أنها قسمت له منها فعاش بشطرها الأعمار
فلأ بكين فتى ربيعة مـادحا ليل بظلمته ولاح نـــهار

---

[25] ديوان ابو فراس ص 59
[26] ديوان حسان بن ثابت الأنصاري , ص 89
[27] العروة , الشيء الذي لا يزال باقيا في الأرض لا يذهب

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

قبر يضم مع الشجاعة والندى حلما يخالطه تقـــى ووقار

رحب السرادق والفناء حبيبة ترك القنا وكوالهن قصار [28]

فالصورة التي يصنعها الشاعر امامنا هي صورة بها حزن ونابعه بوصفه شمائل هذا القائد , فالشاعر يبكي السماحة المفقودة والشجاعة الضائعة , والندى العام الذي كان لفقيد يتمتع به حياته وقد حزنت عليه جميع العرب لأنه يحارب في الميدان حربا ضد أعداء الدولة .

المبحث الثالث : رثاء مدينة بغداد

الواقع أن المجتمع العباسي كان فيه الأبيض والأسود , كان فيه الخير والفضيلة كما وجد فيه الشر والرزيلة شان كل مجتمع , إلا أن الفضيلة فيه غالبه والوضاءة فيه سائدة , ومن هنا ضاق كثير من الناس بمدينة بغداد باعتبارها العاصمة التي يروج فيها الشر والفساد , وأن الخراب والدمار إنما كانا بسبب العصيان والفسوق فدمرها الله تدميرا مصداق قوله تعالى : (وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) [29]

ومن هنا انطلق ابو يعقوب الخريمي يقول :

يا بؤس بغداد دار ممـــلكة دارت على أهلها دوائـرها

أمهلها الله ثم خربها لمـــا احاطت بها كبائـــــرها

رق بها الدين واستخف بذي الفضل وعز الرجال فاجرها

وصار رب الجيران فاسـقه وابتز أمن الدروب شـطارها

يحرق هذا وذا يهدمـــــها ويشتفي بالنـــهاب داعرها [30]

وفي الثورة المخربة المعروفة بثورة الزنج بقيادة علي بن محمد الورزنيني أنذر قائدها هذا بتخريب بغداد وتدميرها وكان قد تعلل لتهديده الآثم هذا بأن بغداد قد انتهكت حرمة الدين , وانتشر فيها الفسوق والعصيان وقال :

لهم نفسي على قصور ببغداد وما قد حوته من كل عـاص

[28] ابن عبد ربه العقد الفريد , ج3 , ص 296 , الرثاء في الشعر العربي , ص 137
[29] سورة الإسراء الآية 16
[30] بيلو, صالح أدم الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب , , ص 361 . انظر الشعر والشعراء , ابن قتيبة ص 844

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

وخمور هناك تشرب جــهرا ورجال على المعاصي حراص

لست بابن الفواطم القــري إن لم أُقحم الخيل بين تلك العراص [31]

وقد قاست هذا المدينة العظمى ودرة تاج الخلافة العباسية من هذا الحصار ما لم يكن لأحد على بال من الهدم والتحريق وسفك الدماء والجوع الشديد حتى درست محاسنها وكادت تمحي معالمها ونطقت ألسن شعرائها بوصف ما عليه الناس من الأحزان والمحن التي لا تحتمل , وأحسنهم في ذلك عمرو بن عبد الملك العتري والوراق فما قاله :

من ذا أصابك يا بغداد بالعــين ألم تكوني زمانا قرة العــين ؟

ألم يكن فيك قوما كان مسـكنهم كان قربهم زينا من الزيـــن

صاح الغراب بهم بالبين فافترقوا ماذا لقيت بهم من لوعة البيـن ؟

استودع الله قوما ما ذكـــرتهم إلا تحدر ماء العين من عيني

كانوا ففرقهم دهر وصدعهـــم والدهر يصدع ما بين الفريقين [32]

إن الشاعر يكشف في هذه الأبيات عن حزنه العميق لما أصاب بغداد مدينة السلام من خراب ولما لحق بأهلها من موت وإن الأسى قد وصل به إلى حد أن الدمع ينحدر من عينيه من تلقاء نفسه. ويرى عز الدين إسماعيل أنه من الطبيعى أن يتفجر رثاء المدن عن عاطفة إنسانية صادقة، إذ لم يدفع الشاعر إليه سواها، مما قد يكون فى رثاء الأشخاص من اعتبارات القرابة أو المجاملة الاجتماعية أو ما أشبه .

ثم قال ايضا :

بكت عيني على بغداد لما فقدت غضارة العيش الأنيق

أصابتها من الحساد عيـن فأفنت أهلها بالمنـــجنيق

فقوم أُحرقوا بالنار قـسرا ونائحة تنوح عـلى غـريق

ولقد حاقت ببغداد كارثة ساحقة , إذ حرقها ابن طاهر قائد المأمون اثناء حصاره لأخيه الامين فقد سلط عليها مجانيقه , فتحولت ناراً أتت على كل شيء فيها , وكأن قصورها التي طالما أشاد بها الشعراء لم تكن شيئاً مذكوراً وأثرت هذه الفاجعة في نفس العتري فقال ابياته السابقة يندبها ويبكيها , ومازال العباسيون يعانون

[31] بيلو , صالح ادم الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب , , ص 361
[32] محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية ـ الدولة العباسية , الشيخ محمد العثماني دار القلم بيروت الطبعة الأولى 1986 ـ ص 192

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

من الترك وغيرهم حتى غزا هولاكوا بغداد وخربها وأزال خلافتهم ورمى بها وبالتاريخ الباهر العظيم في دجلة , فبكى الشعراء من الأعماق , ومن خير من بكى وناح شمس الدين الكوفي , وفيهم يقول بإحدى مراثيه

ما للمنازل أصبحت لا أهلــها أهلي ولا جيرانها جـيراني

أين الذين عهدتهم ولــعـزهم ذُلاً تخر معاقل التــيجان

كانوا نجوم من اقتدى فــعليهم يبكى الهدى وشعائر الإيمان

افنتهُمُ غير الحوادث مــثلــما أفنت قديما صاحب الإيــوان

نعود للشاعر الخريمي الذي كان متأثراً جدا في بغداد وله قصيدته الشهيرة في رثاء مدينة بغداد واصفاً اياها منذ الخلافة وحتى السقوط فنجد الشاعر يتحدث عن بغداد التي كانت تعتبر موطنا للملوك اذ تقوم على دعامات وأسس ثابته هي الشريعة الاسلامية فيقول :

دارت الملوك رست قواعدها فيها وقرت بها منابرها

أهل العلا والندى وأنــدية ال فخر إذا عدت مفاخرها [33]

من خلال البيتين السابقين يصف الشاعر خلفاء بغداد إبان القوة بأنهم أهل علا وأهل ندى وأندية وفخر , وكان خلفاء بغداد الأوائل قد مكنوا لغيرهم سبل الخلافة , أما من جاء بعدهم فقد قلل الشاعر من شأنهم والتقليل من منزلتهم وانتصر لبعض الخلفاء ووصفهم بالأكابر .

ثم ينتقل الشاعر لوصف حال بغداد المؤلم بعد التغيير الشديد الذي حل بها لدرجة ان الزائر لا يعرفها وينكر أن تكون هي التي عاش فيها فيقول :

فإنها أصبحت خلايا من انسان قد ادميت محــاجرها

فقرا خلاء تعوي الكـــلاب ينكر منها السوم زائرها

يمضي الشاعر في بكائه وتفجعه لما أصاب بغداد من الدمار والتحول الخطير في حال المدينة فذهب منها كل شيء , وقل زوارها لأن الامن فارق المكان , وقُتل اهلها وتفرقوا بعد الفتنة التي حلت بهم والظلم والوحشة التي خيمت على المكان .

ثم نجد الشاعر يقف متسائلاً عن اهل المدينة بعد أن غادروها ولكن دون مجيب فيقول :

[33] التاريخ , الطبري , ص 446

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

أين حراسها وحارســها وأين مجبورها وجابرها

وأين خصبانها وحشوتها وأين سكانها وعاصرها

إلى أن يقول :

أمستا كجوف الحمار خالية يسعرها بالجحيم ساعرها [34]

فهنا يتساءل الشاعر عن المدينة وحضارتها العريقة التي بناها الأمجاد وهو يكرر كلمة أين دليل على شدة حزنه وصدق عاطفته , كما يدل على الحال التي ألت إليها بغداد والتحول في حالة المدينة ووحشة المكان الذي لا يمكن البقاء فيه طويلاً .

يرى الشاعر أن سبب الفتنة هو فساد الناس وبعدهم عن الدين وفعل ما حرم الله , فعاقبهم الجوع جزاء كفرهم بنعمة الله , فقد تمادى اهل بغداد في المعاصي وارتكاب الكبائر رغم النعم التي كانوا يتمتعون بها .

يرى الباحث أن الشاعر وهو يصور هذه المدينة وما آلت إليه وهو في غاية الحزن حيث أنها تحولت من عمران وحضارة إلى دمار وخراب

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى أله وصحبه وسلم

خلصت الدراسة إلى عدة نتائج منها :

1. أن الرثاء يصدر عن تجربة قاسية عميقة تتجاوز الآلام الشخصية الخاصة إلى مكابدة الخطوب العامة .
2. ظهرت في مراثي الشعراء المسلمين نزعة جديدة تقوم على القيم الدينية التي تتمثل في التسليم بقضاء الله .
3. يعد شعر رثاء الإخوة والأباء ابداعا اجتماعيا وإنسانيا لما يحتويه هذا الرثاء من دقة في العاطفة .

التوصيات :

1/ توصي الدراسة ببحث الرثاء في النثر العباسي حتى تتكامل صورة هذا الأدب العباسي شعراً ونثراً بعامة فهو ادب غزير المادة متنوعها متعدد الموضوعات والأشكال الفنية لم تستوفه الدراسات بعد.

[34] لمرجع السابق ص 451

مجلة البطانة للعلوم التربوية
ISSN: 1858- 9499
http//:ojs.albutana.edu.sd
العدد الخامس، عشر، ديسمبر، 2023، ص(137-152)

2/ توصي الدراسة بدراسة الرثاء في الشعر العربي بصورة عامة فالرثاء لم يكن محصورا في الشعر العباسي فقط.

المصادر والمراجع

أ. معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ج 2 , كتاب الراء , ص 255

ب . محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية . الدولة العباسية , الشيخ محمد العثماني دار القلم بيروت الطبعة الأولى 1986 .

ت . ضيف شوقي ضيف الرثاء فنون الأدب العربي , ط4 نشر , دار المعارف مصر القاهرة ط3

ث . ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ,

ج . ديوان ابو فراس

ح . ديوان ابو تمام , شرح الخطيب التبريزي ,دار الكتاب العربي, بيروت ط2 1994م , ج1 \,

خ . ديوان ابو العتاهية دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1986م

د . بيلو, صالح أدم الثقافات الأجنبية في العصر العباسي وصداها في الأدب , ., انظر الشعر والشعراء , ابن قتيبة

ذ . أحمد ابراهيم مصطفى جواهر الأدب في ادبيات وانشاء لغة العرب ج 1 , دار الكتب بيروت 1971م ط 2007م ص

ر . المعري , أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري , , الرثاء في لشعر العربي ,

ز . القاموس المحيط , ابو الطاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بيت الأفكار الدولية , ط 2004 لبنان , مادة رثى , انظر لسان العرب لابن منظور كتاب الراء فصل رثى

س . الجامع في تاريخ الأدب العربي ,

ش . التاريخ , الطبري

ص . ابن عبد ربه العقد الفريد , ج3 , ص 296 , الرثاء في الشعر العربي ,